يضعها في ميدان الاستثمار لقاء تسهيلات عديدة بواسطة المزارعة ، في حين ان عمر بن الخطاب رغب عن توزيعها وأبقاها اراضي أميرية تشرف عليها الدولة وتستثمرها نيابة عن المسلمين اصحابها . وهذا الاستثمار للصوافي بدأه عثمان بن عفان وأوغل فيه الامويون ، فتحول الكثير من اراضي الصوافي ذات الملكية العامة الى « قطائع » تقوم على الملكية الفردية عمليا .

صدر عمر بن الخطاب في تجربته عن دوافع سياسية : فقد كان الفاتحون في بداية عهدهم بالبلدان التي نزلوها ، فسعى عمر بن الخطاب الى ابعادهم عن التملك الفردي والارتباط بالارض وما يستتبعه هذا وذاك من صراعات وتناقضات ، في الوقت الذي كان ينبغي لهم ان يمسكوا فيه بزمام الامبراطورية ويديروا دفتها السياسية والعسكرية . لكن الزمن دار دولابه ، وتوافد العرب جماعات للسكنى في الهلال الخصيب ، ففدوا من نسيج المنطقة وهمومها وتطلعاتها . لهذا فان عملية بيع الارض الخراجية التي رفضها عمر بن الخطاب فقدت مسوغها التاريخي ، كما ان تحول الصوافي الى قطائع ازداد غزارة . وهذا التوزيع للارض وذاك البيع لم تحكمهما نوازع خاصة ، فقد أملاهما منطق التطور ، لانهما ساعدا عمليا على زيادة الثروة الزراعية ، وتراكم الانتاج ، واتساع العمران ، وتواتر ارتفاع دخل الدولة من الخراج ، وهذا التطور بمجمله تسارعت وتيرته زمن العباسيين . لهذا حينما وقف عمر بن عبد العزيز في وجه بعض جوانب هذا التطور فقد كان عمليا ، رغم ما كان يتمتع به من فضائل ونوايا طيبة ، يتخذ موقفا محافظا يتنافى مع ضرورات الواقع . ولا أدل من ان عمر فشل في تنفيذ سياسته المالية ، وكانت الغلبة بعدها لاجراءات الحجاج السابقة التي أعيد العمل بمعظمها !

ان طريق جهنم ، كما يقال ، معبدة بالنوايا الطيبة ، والتاريخ لا يتحكم بعنانه الورع والزهد والنوايا الطاهرة ، وان رجال الدين أنفسهم عندما يصبحون حكاما تتلاشى مواعظهم السابقة وتنوب عنها الاحتياجات الملحة . ان التحليل المادي للتاريخ يدعونا الى اكتشاف خط التطور ومناصرة القوى التي غذت هذا التطور وأمدته بالاجراءات، مهما بدت هذه الاجراءات للوهلة الاولى متنافرة مع أهوائنا الحاضرة، لان ما يبدو رجعيا متقهقرا اليوم ربما كان تقدميا مستقبليا في حينه. ان العبودية تأباها النفس الانسانية ، لكنها من الناحية الموضوعية لعبت دورا ايجابيا في التطور البشري . وان الاقطاعية ، على الرغم مما واكبها من سخرة واذلال ، كانت مرحلة حيوية من مراحل تاريخنا الانساني . وان البورجوازية ، المشؤومة في يومنا هذا ، كانت عند صعودها عهدا للانوار والتفتح الفكري والتحرر الاجتماعي والانعتاق من الخرافات والترهات . وفي نهاية المطاف لا يبقى الا وجه التطور الفاعل الذي ينقل الانسان ، وبواسطة حضوره وفعله وصراعه ووعيه ، الى مشارف أعلى من السيطرة على الطبيعة والمصير . ان تاريخ هذا التطور الانساني تمخض دائما ونسبيا عن عوالم جديدة أرحب وأملأ وأجمل ، وعصرنا هذا شاهد على عالم اشتراكي جديد يطلع ، عبر المصاعب والتضحيات والاخطاء والتجاوزات والانتهاكات والانتكاسات ، على انقاض عالم البورجوازية الآفل ومخلفات القرون السالفة .

— ٥ —

جاك بيرك — كارل بتراتشك — روجيه غارودي — دومنيك شوفليه

كان هناك بين المدعوين الى « المؤتمر الدولي للتاريخ » عدد من المفكرين والمستشرقين من الغرب والشرق . وليس غريبا أن يتوقع المرء مساهمة جدية من لدن هؤلاء في ابحاث المؤتمر ، نظرا الى تمرسهم بالمؤتمرات العلمية ، ولانهم على العموم لا يرتجلون الاعمال . لكن لقاء

— التتمة على الصفحة — ٥٠ —

محمد خالدي

محاولة لقراءة خواطر بطل مهزوم

يعود الفارس العربي في عينيه ملحمة الصحارى الهوج . لون الرحلة الاولى .
تكسرت المفاوز : هذه الفلوات عرس أن بين الشام والفلوات عرشت الكروم ، امتدت الرايات حمرا . كل درب بات يحلم ، اين وجه الفارس العربي ... قومي وامنحيه الدفء يا أرضا تشربت الدماء البكر قومي ... يوم أسرج دوخته الريح — ان الريح في الفلوات عاتية . خيام البدو ما عرفته . ظل محدقا في الافق . أرعدت السماء وظل محدقا في الافق : تأتي من تخوم الشرق قافلة « محملة » بوهج الشمس ..... يا وطنا توزعني . حملتك في دمي الفوار وعدا (كان طعم الوعد ملحا) . لم نفيت . كتبت عنك وكنت تكبر في القصائد ، في عيون الطفل يرسم شكل خارطة وفي حدقات من أحببت . مرّ البدو والتتر الغزاة وما أفاق الفارس العربي . كان محدقا في الافق . مرّ الجند ها هم سوروا الطرقات واقتسموا النبيذ المر ثم تبولوا . الرايات باهتة ووجه الشمس صار محطة للحزن . قيل العائدون يهزهم طرب وقيل وقيل ...!! بدّلت الخرائط شكلها ، اتسعت (وما وسعت حنينا ظل يأكل عمرنا المهدور) . شاخت هذه المدن الغريبة وهي ترحل في قصائدنا لبسنا حزنها الوحشي . أحرقنا أصابعنا وقلنا سوف يأتي الفارس العربي ان نبوءة العرّاف صادقة .
ولكنا خسرناها

بغداد